المكـــــان فى معلقـــــة
عنترة بن شداد

أسباب اختيار الموضوع

دفعنى لدراسة هذا الموضوع سببان: السبب الأول شهرة معلقة عنترة(*) الكبيرة، وشهادة النقاد لها بالجودة والتميز قديمًا وحديثًا، وعلى الرغم من كثرة الدراسات عنها، فإن عطاءها – مع ذلك – مستمر، ويمكن للباحثين أن يجدوا فيها الجديد، خاصة عند تناولها بوسائل نقدية حديثة كالمنهج الذى أتبعه فى هذه الدراسة، وهو دراسة تجليات المكان فيها.

والسبب الثانى الذى دفعنى لهذه الدراسة هو أنه لم تدرس هذه المعلقة – على حد علمى – دراسة منفردة لمعرفة تجليات المكان فيها، وهذا ما أحاول عمله فى هذه الدراسة.

(*) عنترة بن شداد بن عمرو بن معاوية بن قراد العبسى (... – نحو 22 ق هـ): أشهر فرسان العرب فى الجاهلية، ومن شعراء الطبقة الأولى. من أهل نجد أمه حبشية اسمها زبيبة، سرى إليه السواد منها، وكان من أحسن العرب شيمة ومن أعزهم نفسًا، يوصف بالحلم على شدّة بطشه، وفى شعره رقة وعذوبة وكان مغرمًا بابنة عمه "عبلة" فقل أن تخلو له قصيدة من ذكرها. اجتمع فى شبابه بامرىء القيس الشاعر، وشهد حرب داحس والغبراء، وعاش طويلاً، وقتله الأسد الرهيص أو جبَّار بن عمرو الطائى. ينسب إليه "ديوان شعر – ط" أكثر ما فيه مصنوع. و"قصة عنترة – ط" خيالية يعدها الإفرنج من بدائع آداب العرب. وقد ترجموها إلى الألمانية والفرنسية، ولم يعرف واضعها وللمستشرق الألمانى توربكى (THORBECKE) كتاب عن "عنترة" طبع فى هيدلبرج سنة 1868م، ولمحمد فريد أبى حديد أبو الفوارس عنترة بن شداد – ط، ولفؤاد إفرام البستانى عنترة بن شداد – ط. انظر فى هذا: خير الدين الزركلى: الأعلام. قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين. بيروت، دار العلم للملايين، ط13، مايو 1998م،5/91-92.

تنويه النقاد القدماء والمحدثين بأهمية معلقة عنترة

وأبدأ كلامى بذكر بعض أقوال النقاد القدماء والمحدثين حول جودة معلقة عنترة بن شدّاد، مما يدل على امتداد عطائها عبر هذه القرون المتوالية مما يسمح للنقاد بإعادة النظر فيها من أوجه كثيرة.

ومن أقدم النقاد الذين أشادوا بهذه المعلقة محمد بن سلام الجمحى الذى يقول عنها: إن هذه القصيدة نادرة[٦].

أما الجاحظ ذلك الناقد الأديب فقد استوقفته فى هذه المعلقة صفة الذباب فيها، أو بمعنى آخر قدرة عنترة على التصوير فيها، خاصة حين صور الذباب، يقول الجاحظ عن عنترة فى هذه المعلقة ووصفه للذباب فيها: "فإنه وصفه فأجاد صفته فتحامى معناه جميع الشعراء، فلم يعرض له أحد منهم. ولقد عرض له بعض المحدثين ممن كان يُحَسّن القول، فبلغ من استكراهه لذلك المعنى، ومن اضطرابه فيه، أنه صار دليلاً على سوء طبعه فى الشعر"[٧].

ويعلق ابن قتيبة على هذه القصيدة بقوله: "فكان أول ما قال قصيدة:

هل غادر الشعراء من متردَّم

وهى أجود شعره وكانوا يسمونها المُذْهَبَة"[٨].

ويعلق ابن رشيق القيروانى على مطلع عنترة فى معلقته بقوله: "وقول عنترة – هل غادر الشعراء من مُتردَّم – يدل على أنه يعدُّ نفسه

---

(٦) محمد بن سلام الجمحى: طبقات فحول الشعراء. تحقيق: محمود محمد شاكر. دار المدنى بجدة، 152/1.
ويعقب الدكتور طه حسين على كلام ابن سلام الجمحى السابق بقوله: "فهى نادرة حقًّا". انظر : د. طه حسين: حديث الأربعاء. القاهرة، دار المعارف، 149/1.

(٧) الجاحظ: الحيوان. تحقيق: عبد السلام محمد هارون. شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابى الحلبى وأولاده بمصر، ط2، 1384هـ/1965م، 311/3- 312 .

(٨) ابن قتيبة: الشعر والشعراء. قدم له: الشيخ حسن تميم، راجعه وأعد فهارسه: الشيخ: محمد عبد المنعم العريان. بيروت، دار إحياء العلوم، ص154.
وبالطبع لا يمكن أن تكون هذه القصيدة الرائعة هى أول ما قال عنترة، فلا بد أن يكون سبقها تجارب شعرية كثيرة له حتى وصل إلى هذه الإجادة فى هذه القصيدة.

مُحدثًا قد أدرك الشعر بعد أن فرغ الناس منه ولم يغادروا له شيئًا، وقد أتى فى هذه القصيدة بما لم يسبقه إليه متقدّم، ولا نازعه إياه متأخِّر"[٣].

وموقف النقاد المحدثين من هذه المعلقة فى الإشادة بجودتها موصول بإشادة النقاد القدماء بها، فعلى سبيل المثال نرى الدكتور طه حسين معجبًا جدًّا بها، ويحللها فى الجزء الأول من كتابه حديث الأربعاء، ويصفها بالسهولة فى ألفاظها ومعانيها على الرغم من أن قائلها من نجد، وأهل نجد معروفون بغرابة الألفاظ وغلظتها [٤]. ويوضح الدكتور طه حسين أسباب إعجابه بهذه المعلقة بقوله: إن عنترة فيها "انتهى إلى معانٍ قلما انتهى إلى مثلها غيره من الشعراء" [٥]، وأيضًا يقول: "كل هذه القصيدة، أو أكثر هذه القصيدة يجرى مجرى المثل، وينشد على اختلاف العصور والبيئات والظروف، فلا يمل إنشاده، ولا تحسّ النفس نبوًّا عنه أو نفورًا منه، وإنما تحسّ كأنها تجرى فيه، وكأنَّ هذا الشعر مرآة صافية صادقة لكل نفس كريمة، ولكل قلب ذكى، ولكل خلق نقىّ. تستطيع أن تقرأ القصيدة من أولها إلى آخرها، فستجد فيها هذا المعنى الذى أشرتُ إليه لا فرق فى ذلك بين غزل ووصف وفخر ووعيد.

ولا أكاد أستثنى إلا هذه الأبيات القليلة التى ذكر الشاعر فيها ناقته، ومع ذلك، فإن هذه الأبيات إن لم تجر مجرى الأمثال، وإذا كانت كغيرها مما قال الشعراء فى وصف الإبل، فإنها لا تخلو من شىء طريف"[٦].

ويعلِّق الدكتور محمد عبد المنعم خفاجى على هذه المعلقة بقوله: "والمعلقة تصوير واضح لنفسية الشاعر ومشاعره وحياته وعواطفه وبطولته وقوته وبأسه ونضاله للأعداء، ولا عجب فهى تنبع من نفسه وحياته وتصوّرهما تمام التصوير.

ولو لم نعرف عنترة أو نسمع بأخباره وحياته لعرفناه من معلقته بطلاً مقدامًا، وشجاعًا فارسًا، وعربيًّا كريم الخلق، رقيق العاطفة، حاد

---

(٣) ابن رشيق القيروانى: العمدة فى محاسن الشعر وآدابه ونقده. حققه: محمد محيى الدين عبد الحميد. بيروت، دار الجيل، ط5، 1401هـ/ 1981م، 91/1.

(٤) حديث الأربعاء، 149/1.

(٥) المرجع السابق، 149/1.

(٦) المرجع السابق، 152/1.

الشعور، يضع روحه فى كفه، ويبذلها مضحيًا فى سبيل كرامته وشرفه وبطولته"([٦]).

المكان عنصر أساسى فى الشعر الجاهلى

فى الشعر الجاهلى بشكل عام يبرز عنصر المكان فيه، وتتجلَّى فيه العلامات المكانية واضحة فى المقدمة الطللية به، ثم تبرز بين الحين والآخر عند عرض الأغراض الأخرى داخل القصيدة الجاهلية، وفى كل الأحوال نرى بصمة المكان واضحة على امتداد القصيدة الجاهلية، ما بين بكاء الأطلال لما بقى من دار المحبوبة، ثم الرحلة للمكان الآخر الذى ارتحلت إليه، أو الرحلة للمكان الذى به الممدوح الذى يوجه إليه الشاعر مديحه، أو الرحلة لأى مكان آخر، وفى كل الأحوال هناك مكان ما سيصل إليه الشاعر بعد رحلته، وهناك أماكن كثيرة سيمر بها خلال رحلته.

ومن ثم – كما قلت – فالمكان عنصر أساسى فى الشعر الجاهلى، وفى معلقة عنترة سيتضح أن عنصر المكان أساسى فيها، وله دلالاته على مدار القصيدة كلها، كما سوف نرى فى الصفحات التالية.

أزمة عنترة فى معلقته مع المكان

من يقرأ معلقة عنترة يتضح له أن أزمة عنترة الكبرى فيها هى مع المكان، فهو شديد الحب لعبلة، يقف عند أطلال دارها، ويحاول أن يحاورها، لعل حواره معها أن يخفف من ألم حنينه لعبلة التى رحلت بعيدة عنه.

ويبين عنترة بعد المسافة بين مكانه –حال وقوفه عند أطلال ديار عبلة – وبين مكانها الجديد، بقوله:

([٦]) د. محمد عبد المنعم خفاجى: الحياة الأدبية فى العصر الجاهلى. بيروت، دار الجيل، ط 1، 1412هـ/ 1992م، ص300.

"كيف المزارُ وقد تربَّعَ أهلُها بعُنَيْزَتَينِ وأهلُنا بالغَيْلَمِ" (٦).

وعبلة ليست فى مكان بعيد فحسب، بل هى – أيضًا – فى مكان به أعداء يتربصون بعنترة؛ ولهذا فهو مكان يصعب عليه الوصول إليه، يقول عنترة:

"حَلّتْ بأرضِ الزائرينَ فأصبحَتْ عَسِرًا علىَّ طِلابُك ابنة مَخْرَمِ" (٧).

فهناك إذن مخاطر كثيرة تنتظر عنترة فى رحلته إلى عبلة فى مكانها الجديد، مخاطر الطريق الطويل فى الصحراء، ومخاطر مواجهة أعدائه فى ذلك المكان الذى استقرت به عبلة وأهلها، وكل هذه المخاطر لا تهوِّن من رغبته فى السعى إليها والوصول لها.

دلالات المكان فى مقدمة معلقة عنترة الطللية

إن المكان "داخل النص الشعرى الجاهلى بأبعاده المختلفة، يستقطب جزءًا كبيرًا من جزئيات النص، ممثلاً فى أغلبه فى هذه المقدمة، والتى أطلق عليها النقاد والدارسون المقدمة الطللية، أو ما يعرف بالبكاء على الأطلال" (٨).

وفى مطلع كل قصيدة طويلة جاهلية نبصر "عددًا من أسماء المواضع، وليس بذى بال أن تكون مواضع خاملة الذكر؛ ومثل هذه الحالة ليست بحالة استثنائية بل تغلب أن تكون القاعدة المطردة" (٩).

وهذه الأماكن التى يذكرها الشاعر فى المقدمة الطللية – فى العصر الجاهلى – كانت ذات دلالات، ولم تكن تذكر لمجرد ذكرها

---

(٦) انظر: معلقة عنترة بن شداد وشرحها فى: شرح المعلقات السبع للزوزنى. لجنة التحقيق فى الدار العالمية، ص131، المزار: الزيارة، التربع: الإقامة زمن الربيع، عنيزتين والغيلم: أسماء أماكن، يريد أن يقول: كيف يمكننى أن أزورها وقد أقام أهلها زمن الربيع بهذين الموضعين وأهلنا بهذا الموضع وبينهما مسافة بعيدة ومشقة كبيرة.

(٧) المصدر السابق، ص131، والزائرون: الأعداء، جعلهم يزأرون زئير الأسد، فقد شبه توعدهم وتهديدهم بزئير الأسد، عسرًا: صعبًا، ابنة مخرم: يعنى عبلة.

(٨) د. سعيد محمد الفيومى: فلسفة المكان فى المقدمة الطللية فى الشعر الجاهلى. بحث منشور فى مجلة الجامعة الإسلامية (سلسلة الدراسات الإنسانية). بجامعة القدس بغزة. فلسطين، المجلد الخامس عشر، العدد الثانى، يونية 2007م، ص241.

(٩) كراتشكوفسكى (أغناطيوس يوليانوفتش): تاريخ الأدب الجغرافى العربى. نقله إلى العربية: صلاح الدين عثمان هاشم. قام بمراجعته: إيفور بليايف. لجنة التأليف والترجمة والنشر، الإدارة الثقافية فى جامعة الدول العربية، القسم الأول، ص43.

فحسب، بخلاف الشعر الذى قيل فى عصور لاحقة، فقد كان ذكر الأماكن فى المقدمة الطللية فيه يفقد أحيانًا أساسه الواقعى فى الحياة، ويتحول إلى مجرد أسماء تجمع من هنا وهناك، وربما كانت من صنع المخيلة[٦].

والمواضع التى يذكرها الشاعر الجاهلى فى مقدمته الطللية تبدو أثيرة إلى نفسه؛ لأنها – أو أكثرها – ترتبط بمحبوبته، التى كان يلتقى معها فيها.

وتثير هذه الأماكن الذكريات فى نفس الشاعر، فيتذكر لقاءه مع محبوبته فيها، ويدرك أن هذه الأماكن قد خلت منها، ولم يبق له فيها إلا بعض متعلقات بمحبوبته وأهلها كالآثافى والأوتاد والنؤى، فيمعن النظر فيها ويبكى محبوبته التى كانت فى أيام سابقة تتعامل مع هذه الأشياء بحيوية، ولكنها الآن أصبحت مجرد أطلال صامتة.

وفى مقدمة معلقة عنترة نراه يخاطب دار عبلة، ويكرر ذكرها عدة مرات دلالة على حنينه إليها، وإلى من كان يسكنها، ويود لو أن هذه الدار التى هى بأرض الجواء تكلمه وترد على تحيته إليها.

وعنترة – كما نراه فى هذه المقدمة – لا يتعامل مع الدار على أنها جماد، بل هى عنده كائن حىّ ممتلئ بالذكريات، التى تبث فيها الحياة؛ ولذا يحادثها ويقدم لها التحية:

"هل غادرَ الشعراءُ من مُتَرَدَّمِ ... أم هل عرفتَ الدارَ بعد تَوَهُّمِ [٤]

يا دارَ عبلةَ بالجَوَاءِ تَكلّمِى ... وَعِمى صباحًا دارَ عبلةَ واسْلَمِى [٥]

فوقفتُ فيها ناقتى وكأنَّها ... فَدَنٌ لأقضىَ حاجةَ المُتَلَوِّمِ" [٦].

إن عنترة لا يكتفى بمحادثة دار عبلة – أو ما بقى منها –، ولا يكتفى أيضًا بتوجيهه تحيته إليها، بل إنه يدعو لها بالسلامة، فهو يرجو أن تبقى هذه الدار بما تحمله من آثار – كانت تستخدمها عبلة –

---

(٦) المرجع السابق، القسم الأول، ص44.

(٤) المتردّم: الموضع الذى يسترقع ويستصلح، التوهم: الشك.

(٥) الجواء: مفردها الجو وهو الوادى وهنا يقصد بالجواء موضعًا بعينه، عمى صباحًا: سعدت بالنعيم فى الصباح، وهى تحية العرب فى الصباح فى ذلك العصر.

(٦) الفدن: القصر، وجمعها الأفدان، المتلوم: المتمكث، وقد شبه ناقته بالقصر فى ضخامتها، وانظر الأبيات فى شرح المعلقات السبع، ص130.

سالمة من كل أذى وضرر لعله يمر بها من وقت لآخر فتعزيه عن افتقاده عبلة.

ولا ننسى أن هذه الدار – أو أطلالها – قد مر عليها سنوات طويلة منذ أن فارقتها عبلة، يقول عنترة:

"حُيِّيت من طَلَلٍ تَقَادَمَ عهدُهُ أقْوَى وأقْفَرَ بعدَ أمِّ الهَيْثَمِ" (١).

والملاحظ أن عنترة فى مقدمته الطللية تنفجر ينابيع الحنين منه نحو محبوبته، ويستحضر الماضى والحاضر ورؤيته للمستقبل فى الوقت نفسه، والذى يدفعه لهذا خصوصية المكان الذى يقف به، وهو أطلال دار محبوبته عبلة، فهو فى حاضره يقف أمام دارها ويتأملها، ويتأمل كل ما فيها من أطلال تذكره بعبلة ويحن إليها من خلال هذه الأطلال، وخلال نظرته لهذه الأطلال ينساب شريط الذكريات الحلوة التى اجتمع فيها عنترة مع عبلة فى هذه الدار وحولها.

وتكون المفارقة مؤلمة؛ لأن الدار التى كانت ممتلئة بالحيوية أصبحت صامتة لا تجيب عنترة، وصارت أطلالاً قديمة، أصابها القفر بعد رحيل (أم الهيثم) – وهى عبلة – عنها.

ويستشرف الشاعر المستقبل خلال وقوفه بهذه الأطلال من خلال رغبته فى الرحلة للوصول للمكان الآخر الذى رحلت إليه عبلة وهو "عنيزتان" أو أرض الأعداء البعيدة التى يحف بعنترة – كما قلنا من قبل – مخاطر كثيرة للوصول إليها ولقائه عبلة فيها، يقول:

"حلّتْ بأرضِ الزَّائرينَ فأصبحتْ عَسِرًا علىَّ طِلابُك ابنةَ مَخْرَمِ (٢)

عُلِّقْتُها عَرَضًا وأقْتُلُ قوْمَها زَعْمًا لَعَمْرُ أبيك ليسَ بمزْعَمِ (٣)

ولقد نزْلتِ فلا تَظُنِّى غيرَهُ مِنِّى بمنزلَةِ المُحَبِّ المُكْرَمِ

كيفَ المزار وقد تربَّع أهلُها بِعُنَيْزَتَيْنِ وأهلُنا بالغَيْلَمِ" (٤).

---

(١) المصدر السابق، ص131، الأقواء والإقفار: الخلاء، أم الهيثم: كنية عبلة.

(٢) الزائرون: الأعداء، عسرًا: صعبًا.

(٣) عرضًا:فجأة من غير قصد،العَمر: الحياة والبقاء، ولا يستعمل فى القسم إلا بفتح العين،الزعم: الطمع.

(٤) شرح المعلقات السبع، ص131، والمزار: الزيارة، والتربع: الإقامة وقت الربيع.

ونتيجة لثورة المشاعر التى هاجت فى نفس عنترة حين رؤيته دار عبلة بما فيها من أطلال تذكره بها، وتجعله يحن إليها، فإنه أصبح شديد الشوق لرؤيتها؛ ولم تعد هذه الأطلال كافية لتريحه، بل إنها قد هيجت مشاعره، ومهما كانت الصعاب التى ستواجهه فى طريقه لمكان عبلة الجديد؛ فإنه لا يعبأ بها، فقد كان وقوفه بأطلال دارها دافعًا له ليشد الرحال إليها فى ذلك المكان الآخر البعيد المحفوف بالمخاطر الكثيرة بالنسبة إليه.

ولكن عنترة قبل أن يتحرك نحو دارها؛ تُثار فى نفسه مزيد من المشاعر المتدفقة من خلال تذكره لحظة فراقها له، وتركها تلك الدار التى صارت طللاً بعد رحيلها عنها، إنها لحظة مؤلمة، لحظة الفراق والرحيل، ولكن الشاعر يتذكرها ويستحضرها:

"ما رَاعَنى إلا حَمُولَةُ أهلِها وَسْطَ الدِّيَارِ تَسَفُّ حبّ الخِمْخِمِ" (١).

أيضًا يستحضر الشاعر صورة عبلة ويُشَخِّصها أمام عينيه بكل ما حوته من حسن وفتنة؛ ليجعل ذلك دافعًا آخر له ليشد الرحال إلى مكانها الذى رحلت إليه، يقول:

"إذْ تَسْتبيكَ بذى غُرُوبٍ واضِحٍ عَذْبٍ مُقَبَّلُهُ لذيذِ المَطْعَمِ (٢)
وكأنَّ فَارَةَ تاجرٍ بِقَسيمَةٍ سَبَقَتْ عَوارِضَها إليكَ من الفَمِ (٣)
أو رَوْضَةً أُنُفًا تَضمَّنَ نَبْتُها غَيْثٌ قليلُ الدِّمْنِ ليس بِمَعْلَمِ (٤)
جادَتْ عليه كلُّ بِكْرٍ حُرَّةٍ فترَكْنَ كُلَّ قَرَارَةٍ كالدِّرْهَمِ (٥)
سَحًّا وتَسْكابًا فكُلَّ عشيَّةٍ يجرى عليها الماءُ لم يَتَصَرَّمِ" (٦).
يَتَصَرَّمِ" (٦).

---

(١) المصدر السابق، ص 132، راعنى: أفزعنى، الحمولة: الإبل التى تتحمل الأحمال الثقيلة، الخمخم: نبت تعلفه الإبل، تسف: تأكل.
(٢) تستبيك: تأسرك، غرب كل شىء حده، والجمع: غروب، الوضوح: البياض، المقبّل: موضع التقبيل، المطعم: الطعم.
(٣) التاجر: المقصود به العطار، فارة المسك: الأصل فائرة المسك وحذفت الهمزة تخفيفًا، وسميت بذلك لأن الروائح الطيبة تفور منها، القسامة: الجمال.
(٤) روضة أنف: حديقة لم ترع بعد، الدمن: جمع دمنة وهى السرجين، معلم: بارز.
(٥) البكر من السحاب: السابق مطره، الحر من كل شىء: خالصه وجيده، القرارة: الحفرة.
(٦) المصدر السابق: ص133، والسحّ: الصب والانصباب، التسكاب: السكب، التصرم: الانقطاع.

وهنا نلاحظ أن عنترة حين حديثه عن رحيل عبلة ونجواه إلى طللها استخدم مفردات الطلل التى توحى بجو الفقد والحزن والألم والحنين فى الوقت نفسه.

ولكنه حين حديثه عن حسن عبلة وجمالها استحضر "الروضة"، وهى مكان يوحى بالبهجة والجمال.

ومن هنا فاستحضار عنترة المكان يتفقق مع انفعالاته وأحاسيسه، فإذا كانت هذه الأحاسيس حزينة وصف المكان القفر وحاله فيه – وهو الطلل –، وإذا ذكر حسن عبلة استحضر المكان البهيج كالرياض.

رحلة عنترة للوصول لمكان عبلة

يعزم عنترة على الرحيل لمكان عبلة ليلقاها فيه، بعد أن هاجت مشاعره برؤية أطلالها وتذكره إياها، ثم تذكره لمحاسنها التى جسَّدها فى شعره.

ويحدِّثنا عن رحلته والمخاطر التى سيلاقيها فيها، والناقة القوية، ذات الخصال الفريدة التى تؤهلها لقطع هذه المسافة البعيدة بين دار عبلة القديمة التى يقف أمامها عنترة، ودارها الجديدة فى ذلك المكان البعيد (عنيزتين/ أرض الأعداء).

"هلْ تُبْلِغَنِّى دارَها شَدَنِيَّةٌ لُعِنَتْ بمحرومِ الشَّرابِ مُصَرَّمِ (١)
خَطّارةٌ غِبَّ السُّرَى زيَّافَةٌ تَطِسُ الإكامَ بوَخْذِ خُفٍّ مِيثَمِ (٢)
وكأنما تطِسُ الإكامَ عَشيَّةً بقريبِ بين المَنْسِمَيْنِ مُصَلِّمِ" (٣).

ولا يحدثنا عنترة عن الأماكن التى مرّ بها خلال رحلته لأرض عبلة الجديدة، ولا عن المخاطر التى يمكن أن يكون قد تعرض لها فيها،

---

(١) شدن: أرض أو قبيلة تنسب الإبل إليها، الشراب: المقصود به هنا اللبن، مصرَّم: مقطوع.
(٢) خطر البعير بذنبه: شال به، الزيف: التبختر، الوطس والوثم: الكسر.
(٣) المصدر السابق، ص 134، تطس: تكسر، والمصلم: من أوصاف الظليم لأنه لا أذن له، والصلم: الاستئصال، كأن أذنه استؤصلت.

بل إنه يكتفى بالحديث عن وصف ناقته، وتشبيهها ببعض الحيوانات كالنعام[1].

وكنا ننتظر أن يحدثنا عن لقائه بعبلة مع نهاية هذه الرحلة، ولكنه أيضًا يغفل الحديث عن هذا، ولا ندرى لماذا؟ ربما لأنه لم يستطع الوصول إليها؛ ودفعه حياؤه كفارس على ألا يذكر فشله فى الوصول إليها.

ولعله بعد رحلته وصل إليها ولكنها لم ترحب به كما كان يتوقع حين جاشت مشاعره أمام أطلال دارها، ومما يرجح هذا الظن قوله بعد وصف ناقته التى هى وسيلة رحلته إلى أرض عبلة الجديدة:

"إنْ تُغْدِفِى دُونى القِنَاعَ فإنَّنى سَمْحٌ مخالقَتِى إذا لم أظْلَمِ [2]

وإذا ظَلِمْتُ فإنَّ ظُلْمى باسِلٌ مُرٌّ مذاقَتهُ كطعْمِ العَلْقَمِ" [3].

لم يحدد عنترة أماكن معينة حين حديثه عن شربه الخمر وفروسيته

وأمام إعراض عبلة عن عنترة، يدافع عن نفسه بذكر أخلاقه كفارس نبيل، يقهر أعداءه، ولكنه لا يتعرض لشخص يسالمه، ويحدث نفسه بما كان يتمدّح به أهل الجاهلية من شربه الخمر دون أن يؤثر ذلك فى رزانته، وأنه كريم حين شربه الخمر وحين توقفه عن شربه إياها:

"ولقد شَرِبْتُ من المُدَامةِ بعدما رَكَدَ الهَوَاجِرُ بالمَشُوفِ المُعْلَمِ [4]

بزُجَاجَةٍ صَفْراءَ ذَاتِ أسِرَّة قُرِنَتْ بأزْهَرَ فى الشِّمالِ مُفَدَّمِ [5]

فإذا شرِبْتُ فإننى مُسْتَهْلِكٌ مالى وعِرضِى وافرٌ لم يُكْلَمِ [6]

---

(1) المصدر السابق، ص135- 136.

(2) تغدفى: ترخى والمقصود: تتسترين عنى، حاذق: عالم، استلأم: لبس اللأمة أى الدرع.

(3) المصدر السابق، ص137، وباسل: كريه، والبسالة: الشجاعة، العلقم: نبات مُرّ المذاق.

(4) المدام والمدامة: الخمر؛ وسميت بهذا الاسم لأنها أديمت فى دنها، ركد: سكن، الهواجر جمع الهاجرة، وهى أشد الأوقات حرًّا، المشوف: المجلو.

(5) الأسرة: جمع السر والسرور، وهما الخط من خطوط اليد والجبهة وغيرهما؛ وتجمع أيضًا على الأسرار، وتجمع الأسرار على الأساريز، بأزهر: أى بإبريق أزهر، مفدم: مسدود الرأس بالفدام.

(6) لم يكلم: لم يجرح.

وإذا صحوتُ فما أُقصِّرُ عن نَدَىً وكما عَلِمْتِ شَمائلى وتَكَرُّمِى" (١).

والملاحظ هنا أن عنترة لم يحدثنا عن مكان – أو أماكن – محدد شرب فيه الخمر؛ وهذا يعود لكونه يشربها فى أماكن عديدة فى الحانات وفى الطريق، وداخل خيمته؛ مما لا يستدعى معه ذكر المكان هنا.

وأيضًا لم يذكر عنترة أسماء أماكن محدَّدة حين تفاخره بفروسيته موجهًا بذلك رسالة لعبلة لعلها ترضى عنه، وتعبأ به وتترك تجاهلها إياه، يقول:

"وحَليلِ غانيةٍ تركتُ مُجَدَّلاً تَمكُو فَريصتُه كَشِدْقِ الأعْلَمِ (٢)
سبقَتْ يداىَ لهُ بعاجلِ طعْنةٍ ورَشَاش نافذَةٍ كلوْنِ العَنْدَمِ (٣)
هلاّ سألتِ الخيلَ يا ابنةَ مالكٍ إنْ كنتِ جاهلة بما لمْ تعْلمى (٤)
إذ لا أزالُ على رِحَالَةِ سَابحٍ نَهْدٍ تعاورَهُ الكُمَاة مُكَلّمِ (٥)
طَوْرًا يُجرَّدُ للطَعانِ وتارةً يَأوِى إلى حَصْدِ القِسىِّ عَرَمْرَمِ (٦)
عَرَمْرَمِ (٦)
يُخْبِرْكِ من شَهِدَ الوقيعةَ أنَّنى أغْشَى الوَغَى وأعِفُّ عندَ المَغْنَمِ (٧)
ومُدَجَّجٍ كَرِهَ الكُماةُ نِزَالَهُ لا مُمْعِنٌ هَرَبًا ولا مُسْتَسْلِمِ (٨)
جادَتْ له كَفِّى بعَاجلِ طَعْنَةٍ بِمُثَقَّفٍ صِدْقِ الكُعوبِ مُقَوَّمِ (٩)

---

(١) المصدر السابق، ص137، وندى: كرم، شمائلى: أخلاقى.
(٢) الحليل: الزوج، الغانية: قيل: هى ذات الزوج من النساء لأنها غنيت بزوجها عن الرجال، وقيل: بل الغانية البارعة الجمال المستغنية بجمالها عن التزيين، جدلته: ألقيته على الجدالة، وهى الأرض، المكاء: الصفير، العلم: الشقّ فى الشفة العليا.
(٣) العندم: قيل: هو دم الأخوين، وقيل: هو شقائق النعمان.
(٤) الخيل: المقصود الفرسان الذين يركبون الخيل، ابنة مالك: أى عبلة.
(٥) التعاور: التداول، يقال: يتعاورون ضربًا : إذا جعلوا يضربونه على جهة التناوب، الكلم: الجرح.
(٦) الطور: التارة والمرة، والجمع الأطوار، العرمرم: الكثير، الإحصاد: الإحكام.
(٧) الوقعة والوقيعة: اسمان من أسماء الحرب، الوغى: أصوات أهل الحرب، ثم استعير للحرب، المغنم: المكسب والغنيمة.
(٨) المدجج: التام السلاح،الإمعان، الإسراع فى الشىء والغلو فيه، الاستسلام: الانقياد والخضوع.
(٩) بعاجل طعنة: بطعنة سريعة، الصدق: الصلب.

فشككْتُ بالرمحِ الأصَمِّ ثيابَهُ ليسَ الكريمُ على القَنا بمُحرَّمِ [1]

فتركتُه جَزَرَ السِّباعِ يَنُشْنَهُ يَقْضِمْنَ حُسْنَ بنانِهِ والمِعْصَمِ" [2].
والمِعْصَمِ" [3].

ولعل عنترة لم يحدثنا عن أماكن محددة خاض فيها معاركه وأبرز فيها انتصاراته، ليدلل بهذا على كثرتها وأنها لا يمكن عدها وتتبع الأماكن التى حدثت فيها، أو لعله تجاهل ذكر هذه الأماكن التى دارت فيها معاركه مع أعدائه؛ لشهرتها، وأنه لا داعى لذكرها.

وعلى الرغم من عدم تحديد عنترة أسماء هذه الأماكن التى صارع فيها أعداءه وهزمهم فيها، فإنه يستحضر فى معلقته كيفية قتاله لهؤلاء الأعداء، وما فعله معهم فيها، ورد فعل فرسه خلال هذه المعارك.

وعنترة يتحدث عن هذه المعارك ليس فقط لمجرد التباهى المجرد من كل غرض سوى إرضاء الذات بذكر هذه البطولات، بل إنه أيضًا يتحدث عنها موجهًا كلامه لعبلة لعلها ترضى عنه، وتواصله حبًّا بحب.

ويواصل عنترة حديثه عن فخره بفروسيته، ويحدثنا عن دور فرسه – رفيقه فى ساحات القتال – فى هذه المعارك مسترضيًا بذلك عبلة، لعلها تنبهر بهذه البطولات فتواصله بعد جفاء منها له:

"ولقد حَفِظْتُ وَصَاةَ عمِّى بالضُّحى إذ تَقْلِصُ الشَّفتانِ عن وَضَحِ الفَمِ [4]

فى حَوْمَةِ الحربِ التى لا تشتَكى غمرَاتِها الأبطالُ غيرَ تَغَمْغُمِ [5]

إذ يتَّقُونَ بىَ الأسِنَّةَ لم أخِمْ عنْها ولكنّى تَضَايقَ مُقْدَمِى [6]

لما رأيتُ القومَ أقبلَ جمعُهُمْ يتذَامَرُونَ كررْتُ غيرَ مُذَمَّمِ [7]

---

(1) الأصم: الصلب.

(2) المصدر السابق، ص 138-139، والجزر: جمع جزرة وهى الشاة التى أعدّت للذبح، النوش: التناول، القضم: الأكل بمقدم الأسنان.

(3) الوصاة: الوصية، تقلص: تتشنج، وضح الفم: الأسنان.

(4) حومة الحرب: معظمها،وتحوم الحرب: أى تدور، غمرات الحرب: أى شدائدها التى تغمر أصحابها؛ أى تغلب قلوبهم وعقولهم،التغمغم: صياح لا يفهم منه شىء.

(5) الاتقاء: الحجز بين الشيئين، الخيم: الجبن، المقدم: موضع الإقدام.

(6) التذامر: الحض على القتال، مذمّم: محتقر منتقص.

يدْعونَ عنْتَر والرماحُ كأنَّها أشْطَانُ بئرٍ فى لَبَانِ الأدْهَمِ [1]
ما زِلْتُ أرْميهم بثَغْرَةِ نَحْرِهِ ولَبَانِهِ حتى تَسَرْبَلَ بالدَّمِ [2]
فازورَّ مِنْ وَقْعِ القَنَا بِلَبَانِهِ وشَكَا إلىَّ بِعَبْرَةٍ وتَحَمْحُمِ [3]
لو كانَ يَدْرى ما المحاورةُ اشْتَكى ولكانَ لو عَلِمَ الكلامَ مُكَلَّمى [4]
ولقد شَفَى نفسى وأذْهبَ سُقْمَها قِيلُ الفوارسِ وَيْكَ عنترَ أقْدِمِ" [5].

وها هو عنترة يكتفى بذكر أرض معاركه بقوله "حومة الحرب"، وهى المكان الذى تدور فيه الحرب، ولكنه لا يحُدِّدها، وهذا – كما قلنا من قبل – لعله لكثرة معاركه وصعوبة حصرها، أو لاشتهارها بين الناس – خاصة وعنترة من فرسان العرب الكبار المشهورين فى العصر الجاهلى[6] – ولذا لا حاجة به لذكر أماكنها تفصيلاً فى شعره.

---

(1) الشطن: الحبل الذى يستقى به، والجمع الأشطان، اللبان: الصدر، الأدهم: اسم فرس عنترة.
(2) الثغرة: الوقبة فى أعلى النحر، والجمع الثغر، تسربل: اكتسى.
(3) ازورّ: مال، التحمحم: من صهيل الفرس ما كان فيه شبه الحنين ليرق صاحبه له.
(4) المحاورة: الكلام والحديث.
(5) المصدر السابق، ص142-143،ويك: لفظة تدل على التحريض والحث،أقدم: أى خض القتال معنا.
(6) انظر فى هذا: الحيوان، 103/2، والشعر والشعراء، ص154.

الخاتمـــة

وهكذا رأينا عنترة يستحضر المكان فى كل موقف فى معلقته، ولكنه يحدّده ويذكر معالمه واضحة حين حديثه عن دار عبلة وأطلالها، والمكان الذى وصلت إليه.

فى حين أنه يشير بعد ذلك لأماكن أخرى خلال حديثه عن رحلته – والأماكن التى مر بها خلال هذه الرحلة – وأماكن شربه الخمر، والأماكن التى دارت بها معاركه، ولكنه لا يحددها لنا بذكر أسمائها، وإن كان يصفها لنا وصفًا فيه تجسيد واضح لها؛ حتى كأننا نراها رأى العين.

وفى كل الأحوال يبدو المكان حاضرًا فى معلقة عنترة منذ بدايتها إلى نهايتها مشاركًا عنتر ة أفراحه وأحزانه وتطلعاته وحسراته، بل إن مشكلة عنترة فى هذه المعلقة هى مع المكان كما وضح هذا فى تحليلنا لهذه المعلقة.